المأساة عند اسكيلس

(*AESCHYLOS*)

بقلم الدكتور كمال قاسم نادر

لابد لمـــن يبحث فى المسرحية الاغريقية من التكلم عن المســـرح الاغريقى • لان تركيب المسرحية يعتمد كل الاعتماد على نوعية المسرح الذى تعرض عليه تلك المسرحيات • فالمتفرج الاثينى خلال النصف الاخير من القرن الخامس قبل الميلاد كان مسرحه يختلف كل الاختلاف عن المسارح المألوفة لدينا اليوم • فقد كان يذهب لمشاهدة المسرحيات فى مكان يسمى الثيترون ''Theatron'' أو كويلون ''Koilon'' وهى قاعة نصف دائرية ذات مقاعد محفورة ومدرجة تمتد على طول سفح التل المسمى بالاكروبيس ''Acropolis'' والقاعة تتسع لما يقارب (١٧٠٠) شخص ولـكى يصل المتفرج الى كرسيه عليه ان يتسلق درجات (Klimakes) والمقاعد فى القاعة مقسمة الى مناطق كل منطقة تسمى كركيس ''Kerkis'' وهذه على مستويين وهناك ممر يوصل بين هذين المستويين يسمى بالديازوما ''Diezome'' وفى المستوى الســـفلى منـــه ينتصـــب عرش قس الاله داينونيسيس ''Dionysas'' وهذا القس يشرف على التمثيلية ويترأس الاحتفال وهو جالس فى عرشه •

وعلى المستوى الارضى وأمام مقاعد المتفرجين فسحة دائرية الشكل تسمى الاوركسترا ''Orchestra'' ومعنـاها مكان الرقص • وفى منتصف الاوركسترا ينتصب المحراب الذى طالما يشار اليه فى المسرحيات الاغريقية ، وفى الاوكسترا تقف الجوقه ''Chorus'' دائما • وتظل واقفة هناك لا تخرج منذ بدء المسرحية حتى نهايتها • وفى الاوكسترا تقوم الجوقه بأنشاد أغانيها ورقص رقصاتها • كمـا ون فى بعض الحالات يمثـل الممثلون فى فسحة الاوركسترا • ولـكن هذا جد نادر •

وهناك مدخلان للقاعة احدهما فى الجهة اليمنى والآخر فى اليسرى • والمدخل اســـمه ''Parodi'' • وخلف دائرة الاوركسترا مباشرة ينتصب

THEATRON OR KOILON

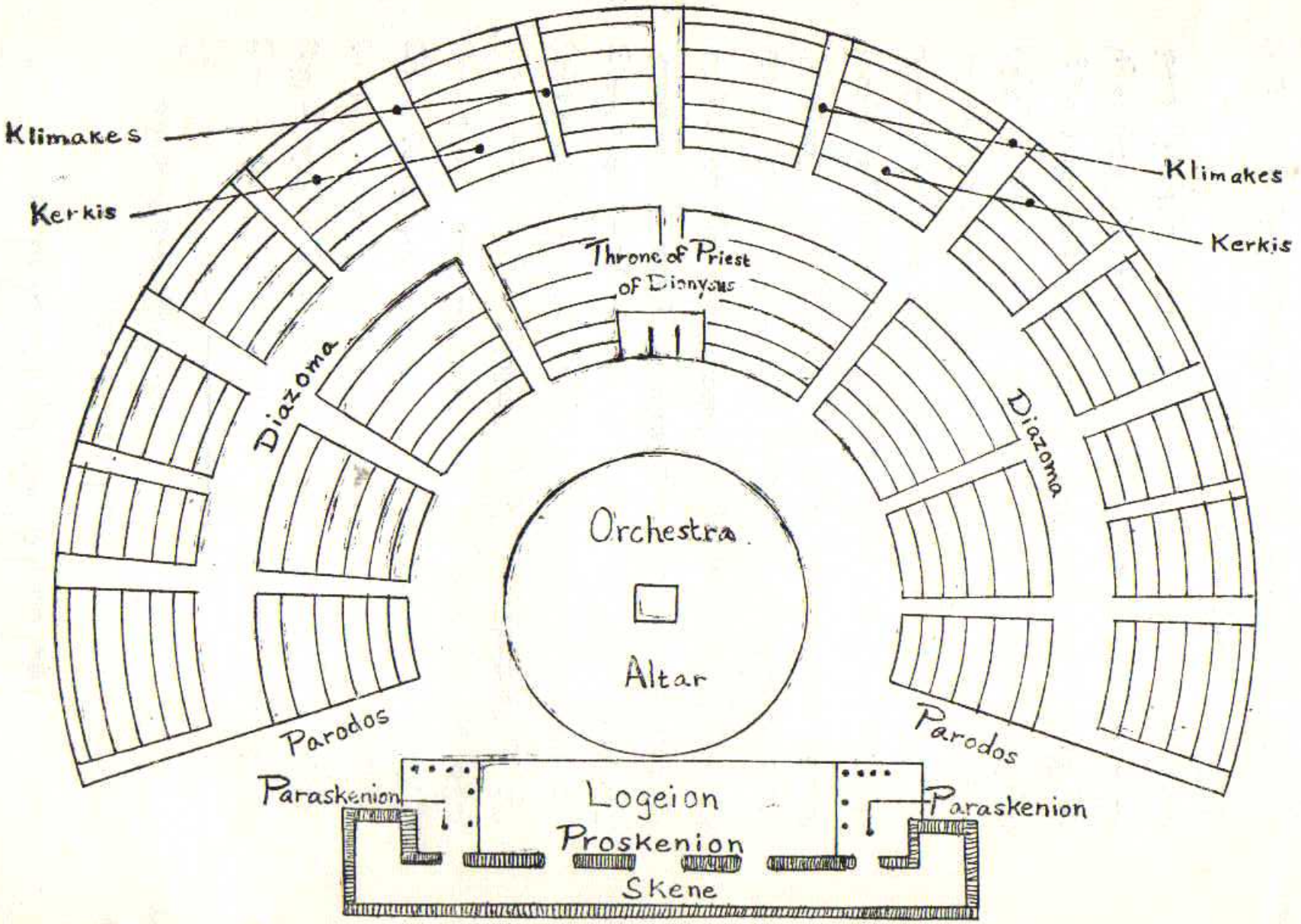

البناء المسمى سكين "Skene" وهو الديكور • ولم يكن هذا الديكور فى بادىء الامر سوى منصة خشبية ثم تطورت هذه فأصبحت منصة مبنية من الآجر وفى أغلب المسرحيات الاغريقية يرمز الديكور اما الى واجهة قصر أو معبد • ومن وقت الى آخر كانت تستعمل بعض الوسائل لكى يميز نوع المكان وما يرمز اليه فى المسرحية • وتوجد فى الديكور عادة ثلاثة أبواب وهذه بمثابة مداخل اضافية يدخل ويخرج منها الممثلون • وامام الديكور مباشرة هناك دكه ترتفع بمستوى درجة واحدة عن قاع الاوكسترا وتسمى هـذه الدكه بروسكينيون "Proskenion" وعلى هذه الدكه يقوم أغلب التمثيل ولو ان هناك حالات يظهر فيها الممثلون فى الاوركسترا أو على سطح الديكور ولكن الغالب فى التمثيل ان يكون على البروسلينيون •

وبعد هذه النظرة الموجزة لتركيب المسرح الاغريقى نعود الى تفحص المآسى التى كتبها اسكيلس لكى تعرض على هذا المسرح •

كان الحديث فى البحث السابق[1] يدور حول اسكيلس أول كاتب مسرحى اما الآن فسيتناول البحث تحليل ماكتبه من مآسى لاظهار ماهية تلك المآسى والاسس التى استند عليها ثم بيان القصد الذى كان يتوخاه اسكيلس لتحقيق هذا الغرض •

ولد اسكيلس فى مدينة پليوسيس "Eleusis" عام (٥٢٥) ق•م • وكان قمبيز (Cambyses) امبراطور فارس فى ذلك الحين يقود جيوشه المنتصرة نحو مصر • وقد حدثت أمور جسام عندما كان اسكيلس صبيا • فقد كانت اثينا المدينة الساحلية الصغيرة آخذة بالازدهار وفى نفس الوقت كان جيش فارس الزاحف يقترب منها تدريجيا مهددا سلامتها • وعندما بلغ اسكيلس الثالثة عشرة من عمره اكتسح داريوس ، خليفة قمبيز ، بجيوشه شبه جزيرة البلقان • ولما بلغ اسكيلس الخامسة والثلاثين اشترك هو واخ له وجمع من مواطنيه فى معركة ضد جيوش فارس الغازية • وقد دارت تلك المعركة على الساحل الشرقى من اثينا وانتهت المعركة بأندحار

---

(١) مجلة كلية الآداب العدد الثانى شباط ١٩٦٠ •

الجيش الفارسى الذى كان مرسلا لتدمير اثينا • وظلت ذكريات هذه المعركة عالقة فى الأذهان سنين طويلة • واصبح بلاء الشاعر اسكيلس فيها اسطورة ترويها الاجيال • وهو نفسه كان يذكرها بكل اعتزاز • فعندما بلغ اسكيلس التاسعة والستين من عمره وقد بلغه الكبر وقارب الموت وكان آنذاك فى جزيرة صقلية • فكتب أبياتا نقشت بعد ذلك على قبره مجد بها دوره فى تلك المعركة معركة مارثون "Marthon" •

ولكن معركة مارثون لم تكن المعركة الاخيرة فقد دام الصراع بين فارس واليونان الى سنين بعد ذلك • فبعد عشر سنين من معركة مارثون وفى مكان يسمى ثيرمو پولى "Thermoplea" دارت معركة طويلة مضنية بين الاسبارطيين والفرس وقد اندحر فيها الاسبارطيون لقلة عددهم • وشبت النيران بعد تلك المعركة فى اثينا • وكاد ان ينمحى اثرها • ولكن سفن الاغريق الصغيرة صمدت بوجه الاسطول الفارسى الضخم ودحرته فى معركة سلاميس وعلى اثرها تقهقرت القوى المعتدية الزاحفة من الشرق • وبنيت مدينة اثينا ثانية ونمت وتطورت وانتجت للعالم تلك الحضارة الراقية •

من يتصفح نتاج اسكيلس يستطيع بسهولة تحسس ما لهذه الازمات والمعارك والانتصارات من أثر فى ما كتبه من مسرحيات • فالعظمة والشموخ أهم مظاهر مسرحياته • ولابطاله من علو الهمة ورفعة الشأن ما يضاهى ما كان لابطال اثينا من امجاد وسؤدد • والانسان فى مسرحيات اسكيلس يبدو وكأنه اله والآلهة لا تتميز بشىء عن الانسان •

ثم كان لهذه الازمات والحروب رد فعل مباشر عند اسكيلس • ففى عام ٤٧٢ ق•م (أى بعد معركة سلاميس بثمان سنين) كتب اسكيلس مسرحيته الثانية والتى اسماها (الفرس) • وهذا رد فعل متوقع عند كاتب عاصر تلك الحوادث وعاشها وشارك فيها فكان لابد له من ان يصورها فى فنه •

ومسرحية (الفرس) شىء فريد فى بابه بين المسرحيات الاغريقية • لان اسكيلس استمد موضوع مسرحيته من حوادث معاصرة قريبة من أذهان جمهوره • بينما استمدت أغلب المسرحيات الاغريقية الاخرى مواضيعها من اساطير البلد الدينية والتأريخية وأهم من هذا هو نجاح المسرحية فى عرض

صراع حديث العهد بأسلوب حيوى وبفطرة عالية • فمسرحية الفرس ليست مسرحية مناسبات تتوخى الدعاية الرخيصة أو الربح على حساب آنيـــة الموضوع • فلقد استطاع اسكيلس بما أوتى من ابداع وبيان ان يخلق مسرحية ذات فن عالٍ وان يتبصر بروح عالية تلك الحوادث المريعة •

اختار اسكيلس أرض سوزا "Suza" مكانا لحوادث مسرحيته هذه • وسوزا بعيدة عن اثينا • وهكذا استطاع ان يخلق لمسرحيته مشهدا غريبا عن جمهوره • كما وانه ملأ المسرحية بأسماء فارسية غريبة وجعل الجوقة تتألف من شيوخ ورجال فارس • وبهذه الاساليب استطاع خلق جو خيالى لمسرحيته كى لا يقيد نفسه بالواقع الجامد • ولو انها ظلت من حيث الزمن قريبة من اذهان جمهوره • فالمسرحية تجرى حوادثها بعد معركة سلاميس بمـدة وجيزة • عندما كان اخشويرش "Xerzes" بن داريوس يحارب فى اليونان تدخل الجوقه فتعلن عن قلقها على الملك وتدخل اتوسا "Atossa" أم الملك وتشترك معهم فى الحديث وخلال الحديث بين الملـكة والجوقه يعبر المؤلف عما لأثينا من أهمية ومكانة • فعندما تسأل الملـكة اين اثينا وما هى مكانتها يجيبها قائد الجوقه •

القائد : بعيدا فى الغرب ، حيث تغرب الامبراطورة الشمس •

اتوسا : أو يبغى ولدى احتلال هذه المدينة ؟

القائد : نرجو ان يتم ذلك فتخضع لسلطانه اليونان بكل ولاياتها •

اتوسا : هل ارسلت اليونان كل قواتها المحاربة للمعركة ؟

القائد : قواتهم كبيرة •

اتوسا : أى ملك يحكمهم ويدير سلطانه جندهم ؟

القائد : ليس عندهم سيد ولا مسود • وليس بينهم ملوك •

ويكون لهذه الجملة الاخيرة وقع طيب على مسامع الاثنيين المعتزين بجمهوريتهم • ويدخل بعدها الرسول فيصف معركة (سلاميس) التى اشترك فيها اسكيلس نفسه • ويقرأ قائمة طويلة بأسماء مشاهير القتلى من الفرس فتصرخ الملـكة المفجوعة وتقول بأسلوب دراماتيكى مؤثر •

من لم يسقط ؟ اهناك قادة آخرون يجب بكائهم ؟ أى قائد آخر مات وترك جنده من بعده مشردين ؟

فيطمئنها الرسول ويخبرها ان ابنها الملك لا يزال حيا متمتعا بضوء الشمس ولـكن المصيبة كبيرة فقد اندحر جيش فارس ومات خيرة بنيه • فتبكى الجوقة صرعى الوطن وتنادى الملـكة بالويل والثبور • فيخرج لها شبح زوجها الميت داريوس فيخاطبها ويقول رأيه فى سبب الاندحار • وهذا فى الحقيقة هو رأى اسكيلس وضعه على لسان الشبح • فالمصيبة قد حلت بفارس لغرورهم الزائد وطمعهم •

اذن فسبب مأساة فارس هو الغرور وحب الاستيلاء على الغير وهذا ما جلب عليهم الدمار •

فينشد الشبح ترافقه الجوقه أغنيـــة ملؤها الاسى ولـكن اسكيلس لا يستغل اندحار فارس ليغالى فى مدح قومه المنتصرين بل بالعكس نجده يحاول استمالة القلوب على المندحرين الذين ولت دولتهم وحلت بهم المصيبة لـكبريائهم •

ومسرحية الفرس مسرحية جامدة لان الحدث المسرحى فيها محدود جدا بل انه يكاد يكون معـــدوما كما وانه ليس هناك صراع داخلى فى المسرحية • أى ان اسكيلس لم يصـــور لنا ما يجول فى نفوس وعقول شخصيات مسرحيته وهم يمرون بهذه الاحداث الجسام • ولـكن عظمة الفكرة فى هذه المأساة تهبها جوا مشحونا وهذا يعوض الخسارة الحاصلة عن قلة الحدث المسرحى •

كان اسكيلس يرتكز فى مواضيع مآسيه على علاقة الانسان بالـكون وبمعنى آخر ان المأساة عند اسكيلس ما هى الا تصوير مسرحى لمواضيع ترتبط بعلاقة الانسان بالـكون • فالمأساة اذن عنده لا تبحث فى العلاقات الاجتماعية انما فى مدلول ميتافيزقى يعالج معضلة الخير والشر الأزلية • كن اسكيلس كثير التفكير بالعلاقة التى تربط بين الانسان والالهه • واشتغال فكره بهـــذا الموضوع جعله ينتج مسرحيته الثالثة المســـماة بروميثيوس مقيـــدا (Prometheusbound) •

كتب اسكيلس هذه المسرحية عام (٤٧٠) ق٠م وما هذه المسرحية الا جزء من ثلاثة أجزاء وقد ضاع الجزءان الآخران منها • والمفروض أن الجزء الذى وصلنا هو القسم الثانى وقد ضاع الجزء الاول والاخير ، لذا فان فكرتنا عن المسرحية لا يمكن الا ان تكون ناقصة ، لاننا لا نعرف الحل الذى يعطيه المؤلف للمشكلة التى يعالجها والمتفق عليه ان الجزء الاول يبحث فى صلة بروميثوس بالناس • بروميثيوس آدمى قربته الالهة منها واطلعته على أسرارها • وقد ساء بروميثيوس ان يرى ما عليه الانسان من شقاء وجهل بينما تنعم الالهة بكل الخيرات فأراد بروميثيوس ان يمد يد العون لاخيه الانسان وينتشله من بؤسه وحرمانه • فقدم بروميثيوس للانسان ذلك الكنز الجميل ـ النار ـ • النار رمز المعرفة ، وتحدى بروميثيوس بعمله هذا ارادة رب الارباب زوس • لان زوس كان قد حرم الانسان من معرفة النار • فغضب زوس على بروميثيوس وأراد أن يعاقبه لخيانته • فأمر ان يقيد الى صخرة كبيرة فى الجبال ويترك عريانا تنهش جسمه وتعذبه الرياح القارسة • وهنا يبدأ الجزء الذى بين يدينا •

تبدأ المسرحية بدخول بروميثيوس على المسرح يرافقه الآلهه الحداد هالفستوس (HEiphaistos) وشخصيتان رمزيتان هما ـ القوة والسلطة • وبأمر من زوس يتقدم هؤلاء الثلاثة ليقيدوا بروميثيوس الى الصخرة ويقوم بهذه العملية الاله الحداد تحت اشراف القوة والسلطة • ويتم تقييد بروميثيوس الى الصخرة ويترك وحيدا صارخا مستعطفا السماوات أن ترق لحاله ، وبينما هو يصرخ ويولول تدخل الجوقه • والجوقة فى هذه المسرحية تتألف من بنات البحر وهى أرواح صغيرة حفيفة • وعندما يسمع بروميثيوس أصواتهن يصرخ قائلا :

ليت شعرى ما مصدر هذه الاصوات المدمدمة
ها هى ذى تدمدم ثانية
كحفيف أجنحة الطيور الطائرة
والهواء يمتلىء بحفيف الاجنحة الخفاقة
ومهما تكن فهى تخيفنى •

وقد جاءت الجوقة لترثى لحال بروميثيوس ولتعطف عليه • ثم يدخل ابوهن اوشانس (ملك البحر) فلا يقدم حل مجد لمصيبته ، فهذا الملك امّعة خائر العزم • ينوى الخير ولـكن يعوزه الاقدام • فيخرج ولم يحصـل بروميثيوس منه سوى النصائح • وبعـد خروج الملك تدخل آيو (Jo) وهى أيضا ضحية لغضب زوس ، فقد غضب عليها رب الارباب واحالهـا مخلوقا نصفه بقرة ونصفه انسان وتركها هائمـة فى القفار • فتلتقى مع بروميثيوس صفوها بالمصيبة فتشرح له مصيبتها وسببها • وهنـا يتحدى بروميثيوس الرب زوس ويسخر منه ويطمئنها أن سلطان الظالم لا يمكن أن يدوم ، وهنا يدخل هيرميز (Hermes) وهو رسول الاله زوس • وهذا الرسول شخصية فضولية متملقة • فيقف بروميثيوس صلباً بوجهه ويسخر منه ، وتنتهى المسرحية بغتة ، اذ ترعـد السماء وتبرق وتتلاشى الصخرة ويختفى معها بروميثيوس •

أن قصة المسرحية هذه عديمة الحركة ، فبروميثيوس يقف مقيدا الى الصخرة منذ ابتداء المسرحية حتى نهايتها • وهذا ما يجعل المسرحية جامدة لان الحدث المسرحى معدوم فيها • لذا فان المؤلف يواجه موضوعا ليس من السهل تصويره مسرحيا ، ولـكن اسكيلس بما اوتى من براعة فنية استطاع التغلب على هذا النقص فمثلا عندما يدخل الاله الحداد وقوة وسلطة لتقيد بروميثيوس فى أول المسرحية ، يستحوذ على انتباهنا رد الفعل الذى يحدثه هذا العمل فى نفوس القائمين به • فنجد ان الاله الحداد لا تطاوعه يداه لتقيد بروميثيوس • فهو مجبر على القيام بالعمل وتردده يدل دلالة واضحة على عدم ارتياحه لما يصيب بروميثيوس • فيقول لزميله قوه : « يجب علىّ أن أقوم بهذا العمل فلا تلح علىّ كثيرا •

لا ريب ان نظرة اسكيلس الى رب الارباب زوس شخصية طاغيـة مستبدة • اما بروميثيوس فيتصوره انسانا مغرورا • اجريمته انه حنث بالوعد الذى قطعه على نفسه ولـكن مع هذا فان بروميثيوس ينال اعجابنا وتقديرنا لانه يرفض الانحناء أمام جبروت زوس وقوته الغاشمة •

وهذه المسرحية قد لا تستهوى القارىء المعاصر لـكثرة ما فيها من

اساطير اغريقية ، ولـكن الذى ينال اعجابنا هى المقارنات الحاذقة التى رسمها المؤلف بين شخصيات المسرحية المختلفة كالمقارنة بين بروميثيوس وبنات البحر ، فبينما ينتصب بروميثيوس بجسمه العملاق الاسود مقيدا الى صخرة ، نرى فى نفس الوقت بنات البحر الخفيفات البيض يطفن حوله بخفة وطلاقة كطلاقة أمواج البحر ، وهناك مقارنات أخرى فى هذه المسرحية تعطيها حيوية نادرة وتجعلها شائعة •

يخبرنا المؤرخون ان اسكيلس كتب ٩٠ مسرحية لم يبق منها الا سبع • وقد ضاع الباقى ، وحتى هذه المسرحيات السبع المتبقية لم تصل الينا كاملة فقد ضاع بعض أجزائها وبقيت أجزاء مبتورة منها ، وهذا ما لاحظناه فى المسرحية السابقة ـ بروميثيوس مقيدا • وهناك لحسن الحظ سلسلة ثلاثية واحـــدة (Trilogy) كاملة • وهذه هى سلسلة الاورستيا • (The Orestia) وقد كتبها اسكيلس حوالى عام (٤٥٨) ق•م • وتتألف هذه السلسلة من ثلاث مسرحيات :

مســـرحية الأگممون (Agamemnon) ومســـرحية الـكوفورى The Choephori ومسرحية اليومنيدبز (The Eumenides) •

وهـــذه المسرحيات الثلاث كلهـا تدور حول اگممنون وعائلته • واگممنون هو ابن اتروس (Atreus) ولاتروس هذا قصة غريبة • فقد كان له اخ اسمه ثيستيس (Thyestos) وقد اعتدى ثيستيس على زوجـة انروس • ولـكى ينتقم منه فقد دعا اتروس اخاه ثيستيس الى وليمة قدم فيها لحم أطفال ثيسيس طعاما • ولهذا العمل الفضيع قررت الالهة انزال لعنتها على آل آتروس فشملت اگممنون بن اتروس • وقد تزوج اگممنون فتاة اسمها كلايتمناسترا (Clytemnestra) ولما هربت هلين الى الطرواده (Troy) وتزوجت من باويس • قرر الاغريق ارسالة حملة الى طرواده لاسترجاع هلين وعندما أراد الاسطول الاقلاع من الميناء هبت ريح معاكسة منعته من الابحار ، وكان اگممنون قائد تلك الحملة فنحر ابنته قربانا لآلهة ، فذعنت الريح واستطاعت السفن ان تترك الميناء الى طروادة • وقد دامت الحملة على الطرواد عشر سنين غاب خلالها اگممنون عن بيته وزوجته • وأثناء غيابه

خانته زوجته مع ابن ثيستيس ومسرحية اگممنون تبدأ قبيل رجوع اگممنون من الحرب ففى ضوء الفجر الخافت يبدو شبح على سطح القصر وهذا هو بيت اگممنون والشبح حارس نصبته كلايتمناسترا ليرقب مجيء زوجها اگممنون وبعد لحظات يلوح ضوء مصباح على تل بعيد • وظهور الضوء معناه سقوط الطرواده • وهذه هى الاشارة المتفق عليها ، وعندما يرى الحارس النور يهرع نازلا يخبر سيدته النبأ • وهنا تدخل الجوقة لتنشد أغنية تمدح بها الـ اتروس • والجوقة فى انشودتها تخبرنا ان رب العائلة قد غاب عن بيته عشر سنين ، ثم يقصون كيف نحر اگممنون ابنته :

ويلاه تحجر قلبه ،
ليسند حربا من جل امرأه ساقطه ،
فنحر ابنته
وقدم دمها المسفوح قربانا
كى تسرع السفن فى ابحارها
وقد اعمت اولى الامر شهوة الحرب وسدت اذانهم ،
فلم يكترثوا ولم يلتفتوا الى صوتها المتضرع :
ارحمنى ، يا ابتاه ، ولم يرقوا لدعائها ،
ولا لنضاره سنها الباكر
وعندما تمت ترنيمة الضحية
طلب ابوها الى القسس الشبان
ان يرفعوها ، كالشاة الصغيرة ، الى صخره المحراب ،
وامرهم ان يخرسوها ،
لئلا تنزل اللعنة على آل اتروس •

ان الـكلمات الاخيرة « لئلا تنزل اللعنة على آل اتروس » تكشف لنا عن نهج اسكيلس فى هذه المأساة وهناك من جهة لعنة الالهه التى تلاحق هذا البيت والتى لا مفر لهم منها • فالقدر ـ الى حد ما ـ قد حكم بالهلاك على آل اتروس • وليس لهم ان يختاروا طريقا غير الذى رسمه لهم القدر • ولـكن الغريب فى الامر هو ان هناك نوع من التناقض فى هذه المسرحية ،

فقد سبق ان عرفنا ان اگممنون قد اقترف جريمة بقتله ابنته ، وبهذا يكون اگممنون نفسه هو المسؤول ـ الى حد ما ـ عما يصيبه من بلاء • وبهذا تكون شخصية البطل هى القدر ، اى ان تصرفاته التى تمليها عليه طبيعته هى المسؤوله عما ينال من عذاب • فلمن الحكم اذن ؟ أهو للقدر أم لشخصية البطل ، وهذا هو التناقض فى هذه المأساة •

وبعد ان تكمل الجوقة (وهى مؤلفة من رجال كبار مقعدين) انشودتها تدخل الملكه ، لتخبرهم نبأ وصول اگممنون • ثم يدخل الرسول فيؤكد الخبر • فتنشد الجوقة أغنية تعبر فيها عن الدمار الذى أصاب الطرواده ويتحدثون عن تلك المرأة (هلين) التى سببت كل تلك الحروب • وما تلاها من ويلات ومصائب • يدخل اگممنون بكل ابهة على ظهر عربة ملكية تحف به الحاشية وهناك عربة ثانية تلى عربته فيها سبيته كساندرا بنت الملك برايم وقد اغتصبها عنوة • ثم يتكلم اگممنون الى الجوقة بكلمات ملؤها الخيلاء • ثم تحادثه زوجته بكلمات معسولة وتفرش له بساطا أحمر يمشى عليه من العربة الى القصر ، واگممنون عندما يسير على البساط الاحمر يعرف معرفة جيدة انه من حق الالهة فقط ان تسير على هذا البساط ولكن كلمات زوجته المعسولة وغروره يدفعانه الى ان يضع نفسه فى مصاف الالهة فيمشى على البساط الاحمر الى القصر • وقبل ان يدخل القصر يوصى زوجته بالاعتناء بخليلته فتثور ثائرتها لذلك ، ويخرج الجميع الا الجوقه وعندما تبقى الجوقة وحيدة على المسرح تفصح عن مخاوفها السود ، وتعود الى المسرح كلايتمناسترا ثانية تجر وراءها كساندرا وتخاطبها بأسلوب قاسى • تخرج الملكة من المسرح وهنا تتكلم كساندرا وقد كانت صامتة طيلة هذا الوقت وكساندرا نبية وعرافة فتنبأ بما سيحل فتقول :

الهى ! مشهد جديد ! شباك ، فخ جهنمى ،
صاغته بيدها ، مصيدة جهنمية ،
زوجة حلال ، تقتل زوجها
وتساعدها على ذلك يد اخرى •

والجوقة بادىء الامر لا تصدق تنبأ كساندرا ولكن عندما تستمر فى

حديثها تبدأ الشكوك تنال من الجوقة ويصيبها الذعر والارتباك ، ثم تخرج كساندرا وما ان تخرج حتى يتعالى الصراخ داخل القصر • ويلى ذلك مشهد درماتيكى عنيف ، ترتبك الجوقة وتتسأل عن مصدر الصراخ وسببه • ويقم بينهم الفوضى • ثم تنفتح الباب ويجمد أعضاء الجوقة فى أماكنهم • وتدخل الملكة وقد تلطخ جبينها • وتقول قصيدة تفتخر بها وبفعلتها • وترد عليها الجوقة لائمة اياها على فعلتها • وتمتدح الجوقة الملك القتيل وتعدد محاسنه وتعبر عن تقديرها واحترامها له • اما الملكة فترد عليهم مذكرة اياهم بالمساوىء التى ارتكبها بحقها سواء بقتله ابنته أو بأخذه امرأة اخرى خليلة له • وهنا يدخل اپكستس فخورا انه استطاع الانتقام من عائلة الرجل الذى قدم لحم اخوانه طعاما لابيه • ويغضبه لوم الجوقة فيثور ويندفع لقتلهم الا ان كلايمناسترا ترده لانها لا تريد المزيد من هدر الدماء ، وتبدو الملكه فى كلماتها منهارة تعبه •

« كفى ، كفى ، يا بطلى ، فاننا لن نضرب أو نذبح انسانا آخر ، فقد حصدنا من الارواح ما يكفى وجنينا من الجريمة ما يغنى ، يكفينا قتلا وذنبا • ولا تدع دما أكثر من هذا ينهدر • فأنت وأنا سنحكم فى القصر وندبر الامور على أحسن وجه » • ان كلامها هذا مملوء بما يسمى فى لغة المسرح (بالسخرية المسرحية) (Dramatic Irony) • أى ان الواقع الذى يعرفه الجمهور هو نقيض ما تتفوه به الشخصية المسرحية لاننا سنرى فى المسرحية التالية كيف يُنتَقم من القتلة • لان القتل ليس نهاية (كما تعتقد كلايتمناسترا) بل انه مجرد بداية لمصائب لابد من ان تأتى فى اعقابه •

ولكن قبل ان ننتقل الى المسرحية الثانية يجب ان نستعرض قصد اسكيلس المسرحى فى مسرحية الاگممنون • ان مسرحية الاگممنون محبوكة من حيث تركيبها الفنى • فالتأشير المسرحى فيها متنوع ومرتب ترتيبا جيدا • فالبداية هادئة • الوقت قبيل الفجر والضوء خافت • والحارس تعب منهك فى حراسته • فجأة يظهر النور البعيد • يلى ذلك هياج كلايتمناسترا وتخوفها ، ثم تشكك الجوقة ، ثم دخول اگممنون المنتصر المزهو ، واستقبال زوجته الصامت له ، ثم اهانتها لكساندرا ، ويتلو ذلك

هذيان كساندرا ، ثم الجريمة ، وبعدها دفاع كلايتمناسترا عن جريمتها ، ثم صراع الجوقة مع ايكستس •

هذه حوادث مسرحية عنيفة كفيلة بان تسيطر على اذهان المتفرجين ومشاعرهم • وفى وسط هذه الحوادث تشع الشخصيات المسرحية بكل جلاء ، فكلايتمناسترا تكن الحقد لزوجها وايكيستس وقد سيطر الحب على لبه وقرر الانتقام لعائلته ، واگممنون يمتاز بالبطولة النادرة الا انه متكبر مغرور • ودقة التصوير للشخصيات المسرحية يجعل هذه المسرحية أكثر انسانية من أية مسرحية أخرى كتبها اسكيلس • والقصة طبعـــا لا تنتهى بمقتل اگممنون • فقد كان لاگممنون ولد اسمه اورستيز (Orestes) وكـان غائبا عند رجوع أبيه من الحرب • وارستيز هو بطـــل المسرحية الثانية ـ مسرحية كوفورى (Choephori) • وقد سميت المسرحية بهذا الاسم لان الجوقة فيها تتألف من مجموعة من حملة القرابين وهن صديقات الـكترا (Electra) اخت اورستيز • وتبدأ المسرحية الثانية أمام قبر اگممنون • ويظهر رجلان ويبدو من لباسهما انهما قطعا مسافة طويلة ثم يكشفان عن نفسهما ، وهما اورستيز وصديقه پايلادس (Pyledes) • يضع اورستيز بكل احترام خصلتين من شعره على المحراب • وبعد هذا المشهد تدخل الجوقة ومعهن اليكترا وترى اليكترا الخصلتين فتعرف انهما يعودان الى اخيها • وهنا يكشف اورستيز لها عن نفسه فتضمه اليها والدموع فى عينيها • ثم تعلم ان اورستيز جاء بناءاً على امر من الاله ابولو (Apollo) لينتقم من قتلة أبيه • فتنطلق الجوقة تغنى أغنية السرور • ثم يدخل اورستيز القصر فنسمع صرخة ايكيستس المؤلمة قبل موته وبعدها يواجه الولد المنتقم امه وجهـــا لوجه • فيستولى عليه الحنان للحظات •

كلاينمتاسترا : يا للحزن ، يا للحزن ايكستس ، زوجى وحامى حماى قد قتل •

اورستيز : ماذا ؟ أتحبين الرجل ؟ اذن ارقدى معه فى القبر وكونى خليلته فى الممات ولا تهجريه مطلقا •

كلايتمناسترا : قف يا طفلى ، تخوف من الضربة ، يا ولدى ان هذا

الصدر قد توسدته مرارا ونمت ملء الجفون ، وفمك العديم الاسنان ، رضع حليبى •

اورستيز : أأستطيع ان أترك أمى حية ؟ تكلم يا پايلاوس ؟

پايلاوس : تذكر قول الاله ابولو ويمنيك الذى اقسمته وعليك ان تختار كره الناس وتتجنب كره الالهه •

وهنا يسوق اورستيز امه الى داخل القصر ويقتلها هناك • ولكن ما ان يرتكب القاتل هذه الجريمة حتى تظهر له الارواح المنتقمة (Furies) وهى مخلوقات عجاف بهيئة مزرية وملابس رثه وشعر منثور جئن لتعذيبه •

ان مسرحية الكوفورى مسرحية كان يمكن ان تكون أحسن مما هى عليه وان اسكيلس قد فوت فرصا كان يمكن ان يستغلها مسرحيا • فهناك امكانيات مسرحية كان يمكنه ان يجعلها حقا مؤثرة كمنظر تعرف الاخت على اخيها أو مقابلة الام لولدها • واسكيلس يشعرك فى هذه المسرحية بأنه غير مهتم بحوادثه كما كان مهتما فى اگممنون • وكأنه يريد الانتقال بعجاله الى الجزء الثالث من القصة والتى تدور حوادثها حول التكفير عن الذنوب والعفو عن المذنبين • وهذا ما يتم فعلا فى مسرحية اليومنديز — وهى المسرحية الثالثة •

الجوقة فى المسرحية الثالثة (اليو منيديز) تتألف من الارواح المنتقمة والمشهد الآن هو المعبد فى دلفى (Delphi) وقد جاء اليه اورستيز بعد تشرد طويل وقد انهكه العذاب تلاحقه دوما الارواح المنتقمة • وهنا ينفتح الباب الرئيسى للمحراب فيظهر اورستيز والاله اپولو وكذلك يظهر شبح الملكه الميته كلايتمناسترا وهنا تندفع الارواح المنتقمة لكى تعذب اورستيز بينما يحاول اپولو حمايته ويقول للارواح :

اعلمى ان لفراش الزوجية قدسية
وفوقه يقف الحق حارسا
يحرس قدسية يمين الزواج
فان تعطفن على من ذبحت زوجها
ولا تزدرنيها

فليس من الانصاف ان تعذبن
من قتل امه

ويترك ابولو أمر الحكم على وارستيز الى الهة العدل اثينا • وبعد هذا ينتقل المشهد من دلفى الى مدينة أثينا • والمسافة بين المكانين طويلة • ولكن كل ما يفعله الممثلون على المسرح هو ان يتحركوا من جانب الى آخر • وهذا يوحى للمتفرجين بأنتقال المشهد • وفى أثينا يطرح اورستيز قضيته امام الالهه وكذلك تفعل الارواح المنتقمة للملكة المقتولة • والارواح المنتقمة هذه لا تفهم شيئا غير الانتقام • فهن يرددن :

نحن لا نعرف الملابس البيض
نصيبنا السواد
ولنا طقوس أكثر سوادا
ومن يقترف القتل ننزل عليه لنعذبه ونطارده
مهما يكن ومهما تكن قوته
والدم لا يرويه الا الدم

وتقرر اثينا ان القضية يجب ان تحال وتحاكم امام اثنى عشر حاكما وهى أعلى محكمة فى اثينا ويضع الحكام اصواتهم فى وعاء فيظهر ان الحكام منشقين على انفسهم بالتساوى وفى هذه الحالة تعطى اثينا صوتها الى اورستيز وتنتهى المسرحية بأغنية روحية • تنقلب بعدها الارواح المنتقمة الى أرواح خيره (Zumendies) •

عندما نقارن هذه المسرحيات الثلاث الاخيرة بما كتبه أسكيلس سابقا أى عندما نقارنها بالمتضرعات وبروميثيوس مقيد والفرس نلاحظ ان هناك ثلاث تطورات مهمة طرأت على المسرحية وفنها • فأذا اعدنا النظر فى مسرحيات المتضرعات وبروميتيوس والفرس نجد ان المكان فى حوادث المسرحية الاولى هو ساحل البحر ، والمسرحيتان الاخرتان تقع حوادثهما فى العراء • اما مسرحية الاگممنون فان حوادثها تقع فى المدينة وامام قصر الملك • ومن هذا نستنتج ان الديكورات قد أخذت بالظهور على المسرح الاغريقى • فبينما كان المسرح الاغريقى فى السابق عاريا من الديكورات فالدليل الآن

واضح بأن الديكورات أخذت تظهر ولو أنها كانت على شكل جد بسيط • قد لا يعدو ان يكون جدارا خلفيا وبعض الاعمدة وتتوسط الجدار بان كبيره على جانبيها بابان صغيران والذى يدعو الى الملاحظة ان الكتاب المسرحيين بعد هذا التاريخ أخذوا يكثرون من استعمال القصور والمدن مشاهد لمسرحياتهم • ويساعدهم على ذلك توفر الامكانيات المسرحية لاظهار مثل هذه المشاهد •

اما التطور الثانى فانه يتعلق بظهور الممثل الثالث على المسرح • فحوالى عام ٤٧٠ ق•م• ظهر سفوكليس وتمكن هذا من اعطاء ثلاثة أدوار كلامية فى مشهد واحد • ومعنى هذا ظهور ثلاثة ممثلين على المسرح فى آن واحد وقد أدى ذلك طبعا الى تطور الحوار المسرحى وتعقيده • كما وأنه أضعف فى نفس الوقت دور الجوقه وأدى تطور الحوار المسرحى بالطبع الى تطور الشخصيات المسرحية وجعلها تكون أكثر كمالا •

والتطور الثالث هو تطور التكنيك المسرحى • فالمأساة الاغريقية قد أخذت لنفسها شكلا معينا ثابتا وأصبحت مجزأة الى أجزاء واضحة • فالمأساة أصبحت تتألف من : أولا المقدمة (Prologue) وفى هذا الجزء يطرح المؤلف موضوع مسرحيته ويشير الى مكان الحادث واحيانا الى الزمن • وبعد المقدمة تأتى الجوقة فتنشد الاغنية الافتتاحية وهذه الاغنية تسمى (Parodos) ثم تبدأ المسرحية وتكون مقسمة الى خمسة أقسام أى خمس قطع حواريه يفصل كل منها عن الاخرى خمس اغنيات للجوقه • وبعدها تأتى الخاتمة المسماة (Exodvs) اكزووس •

ومن تقسيم الحوار الى خمسة أجزاء جاء فيما بعد تجزؤ المسرحية الى خمسة فصول والتى أصبحت بعد ذلك سنة الكتاب المسرحيين الذين تلوا اسكيلس •

المصادر

Kenneth Maggowand and William Melnitz. *The Living Etage,* 1952.

A. M. Nagler, *Sources of The Theatrical History,* 1952.

Allardyce Nicoll, *World Drama,* (1949).

Oates and O'Neill, *The Complete Greek Drama* (1938).

رأس تمثال من الديورايث ، من المعتقد جدا انه يمثل رأس حمورابى وقد وجد فى سوسه عاصمة بلاد عيلام (خوزستان) ٠ ارتفاعه ١٥ سم ٠ (متحف اللوفر) ٠